

## الفرق السياسية في الاسلام

للدكتور رينولد نيكلسون

بقلم الأستاذ حسن حبشي

كانت مناهضة الأحزاب السياسية والفرق الدينية للبيت الأمويّ التي أخذ يتوضّح دعاؤه شيئاً فشيئاً ، حتى أتهار ولم تقم له قائمة بعد ذلك . وسنسون بعض التفاصيل عن الأفكار التي أدت إلى تطاحن هذه الطوائف ، وعن العوامل التي دعته إلى السخط على النظام القائم ، ثم نثني بيض كلمات قلائل عن الفرق الدينية وعقائدها كالمعتدلة والمرجئة والصوفية ، ثم التكلم عن أدبهم الذائع الذي كان جُلّه شعراً ، وعن حملة لوائه البارزين كانت وجهة معارضي الأمويين سياسية باديء ذي بدء ،

إذ كان معنى تولى معاوية الحكم انتصار الشام على العراق ، ومن ثم أصبحت دمشق عاصمة الدولة ، وحلت محل الكوفة ، وقد لاحظ « فلهوزن » : « أن أشد الصيحات خطراً على بني أمية كانت متباعدة من العراق ، فلم تكن صيحة حزب خاص بذاته ، ولكنها صدت صوت جميع العرب المقيمين هناك ، والذين اتفقوا جميعاً على استنكار ضياع استقلالهم Selbstherrlichkeit وعلى كراهية أولئك الذين آل إليهم الأمر<sup>(١)</sup> » . وفي هذا الوقت نفسه اصطفت هذه الشاعر بروح دينية ، واتخذت من الدين عوناً لها ، وسقط النظام الجديد مذموماً موسوماً بسمه الشرك ، وبناء على مبلغ تقدير المسلمين لمعنى الواجب ، كان لزاماً على كل رجل حرّ عاقل أن يعمل على إزالة أسباب ذلك المنكر ، ومن بين الأحزاب المدينة التي نهضت بأعباء هذا الأمر ، يمكننا أن ندين أربع جماعات وحدّ بينها غرض مشترك ، وتعاونت في سبيل تنفيذ فكرتها ، تلك هي :

( ١ ) السلون عامة المتسكون بالدين ، الذي كان يتألف

منهم أهل السنة<sup>(٢)</sup>

(١) Wellhausen: Das Arabische Reichen und sein Sturz (١) ( p. 38 ) .

(٢) وم غالبية المسلمين ، ولاتباعهم سنة النبي وخلفائه أطلق عليهم فما بعد اسم « أهل السنة » ولم يكونوا من الشيعة أو الخوارج ولكنهم =

( ب ) الخوارج ويمكن تسميتهم « بالتطهرين » وهم سبوا الطرف في نزعتهم الدينية

( ج ) الشيعة أو أنصار علي وآل بيته

( د ) الموالى : وهم المسلمون من غير العرب

ومن الجليّ الواضح أن الفريق الأول ( الذي كان دعائه وأنصاره الفقهاء وحفظه القرآن وصحابة الرسول وآبائهم ) ، كان هذا الفريق كارهاً للحكومة التي أرغم على طاعتها والخضوع لسلطانها . أما الاعتقاد بأن القوة التي كان يمثلها الطغاة ومؤيدوم قد وطأت الحق كما جاء به القرآن والسنة ، فقد جعل الكثيرين يقحمون أنفسهم في غمار ثورة هائلة ؛ ويقال : إن خمسة آلاف قد لقوا مصرعهم في حادثة تخريب المدينة ، كما عرّف آخرون عن الدنيا أمثال الحسن البصري ، وسلوكوا سبيل الزهد بعد أن يئسوا من الإصلاح ، وقد كان لهذا الاتجاه عواقب خطيرة الشأن كما سنرى

\*\*\*

لما رضى عليّ بعد « صفين » بالتحكيم فيما شجر بينه وبين معاوية من خلاف حول مشكلة الخلافة لأمة الكثيرين من جنده ورموه بخيانة العهد ، إذ كان — كما يمدونه — الخليفة المنتخب عن جدارة واستحقاق ، فكان لزاماً عليه أن يستمسك بمنصبه السامي ويضحي من أجله بكل ثمين ، وفي طريق العودة إلى أمصارهم انسلخ الساخون ويقدّر عندهم باتني عشر ألف رجل ، وعسكروا في بلدة تدعى « حردراء<sup>(١)</sup> » على مقربة من الكوفة وصاحوا جميعاً : « لا حكم إلا لله » ، وبذلك أظهروا اعتراضهم على التحكيم بتلك العبارة ولم يجيزوه . وحاول عليّ — دون جدوى — أن يستميلهم إلى جانبه ، فأبوا عليه ذلك ، وانتخبوا خليفة من بينهم ، واجتمع في « النهروان » أربعة آلاف من صناديدهم المغاوير تأثرين عليه ، فلما أشرف عليهم على وسط جموع جيشه اللجب تفرّق أكثرهم خوف لقائه . أما الباقيون ،

= يشترطون وجوب انتخاب المجتمع الاسلامي لخليفته به وأن يكون من قريش ، وقد نشأت هذه الأحزاب كلها إثر التراجع الذي شجر بين علي ومعاوية ، وكانت « الخلافة » علة خلفهم الأساسي

(١) راجع نص خطبة محمد بن علي بن العباس في القدس « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » طبعة دى جوه ، ج ٣ ص ٢٩٢ ( للترجم )

قد ثبوتوا في أمانتهم ، وآثروا الموت في سبيل الذب عن إيمانهم ومعتقداتهم ، وأصبحت مكانة « النهران » عند الخوارج بمنزلة « كربلاء » عند الشيعة الذين اعتبروهم منذ ذلك اليوم أعداء لهم . وقد ظلت ثورات الخوارج قائمة طوال صدر دولة بني أمية ، إلا أن الحركة بلغت أقصى شدتها وعنفها في سنوات الاضطراب التي حدثت عقب موت يزيد ، فانتشر « الأزارقة »<sup>(١)</sup> في العراق وفي جنوبي فارس ، على حين استطاعت شعبة أخرى - وهي النجدية<sup>(٢)</sup> - التسلط على جزء كبير من بلاد العرب وإخضاعها لنفوذها . ولقد ظلّ العصاة زمناً طويلاً مقيمين على مناهضتهم ومقاومتهم لعبد الملك ، ولم يقلعوا عن التمرد ، حتى قام الحجاج سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، فأخذ ثورتهم التي كانت تحت رئاسة زعيمهم شيب

ويقال إن كلمة « خارجي » ترجع إلى آية في القرآن<sup>(٣)</sup> جاء فيها « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعةً ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً » وعلى ذلك فالتفصود من كلمة « خارجي » ذلك الذي يهجر مقامه بين الكفار ابتداء مرضاة الله ، وكذلك متصل بلفظ « مهاجر » الذي أطلق على المؤمنين من أهل مكة الذين سجدوا الرسول في هجرته إلى المدينة<sup>(٤)</sup> وهناك لقب آخر يُكنون به ، وهو مُستمد من القرآن في أصله ألا وهو « الشراة » أي الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لقاء الجنة كما جاء في قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »<sup>(٥)</sup> ، وأغلب الخوارج من الجند البدو الذين استقروا

(١) سماو كذلك نسبة إلى زعيمهم نافع بن الأزرق [ويكنى بأبي رشد]

(٢) أم أتباع نجدة بن عامر الحنفي

(٣) سورة النساء ، آية ١٠٠

(٤) Brunnow : Die charizatischen unter den ersten

Omayyaden ( Leiden 1894 ) p. 128.

الخوارج قد أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب وعلى كل فهنا اللفظ يضمن

الخروج من المجتمع الاسلامي ، وربما أريد به للنش

(٥) سورة التوبة ، ٩ : ١١١

في الكوفة والبصرة عقب الحروب الفارسية ولم تستطع الحياة المدنية أن تتغير كثيراً من طبعهم الشمس وخلقهم الجاني ، فلم يروا في قرين من الفضائل ما يجعلها تنهب بالأمانة وحدها ، بل أرادوا اختيار رئيس من بين ظهرانيهم تجرى في عروقه اللماء التي تجرى في عروقهم ، ويطيعونه - كما جرت سنة البدو - ما دام قائماً خيراً قيام بأعباء ما عهد إليه به<sup>(١)</sup> . ومع ذلك فقد كان الدافع الرئيسي للحركة دافعاً دينياً ، ويمكن رده - كما أشار فلهوزن إلى القراء الذين ذهبوا إلى تهويل شأن المسألة الخاصة بالزام على بالتفكير عن خطيئته الكبرى التي دفعه إلى إتيانها موقفهم المحزن الذي وقوه حينذاك . وإسهم ليناهاضون علينا نفس السبب الذي دعاهم للوقوف ضد عثمان ، ففي كلا الموقفين كانوا يتسللون بالرجوع إلى أمر الله للقيام في وجه الخليفة الجائر . وإنه لمن المهم عند التعرض<sup>(٢)</sup> لذكر مبادئ الخوارج الرئيسية عدم إعتقال هذين الرأيين التاليين وهما

١ - جواز الخلافة لكل عربي حر<sup>(٣)</sup>

ب - عزل كل خليفة لا يحسن القيام بأعباء سلطته أو قتله إذا حتمت الضرورة ذلك

وقد كتب المستورد بن عليقة الخارجي قائد المؤمنين إلى سمالك بن عبيد وكان في المدينة العتيقة رسالة<sup>(٤)</sup> جاء فيها : « أما بعد فقد قمنا على قومنا الجور في الأحكام وتعطيل الحدود والاستتار بالتي ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة

Brunnow : op. cit. p. 28. (١)

Wellhausen : Die Religios - politischen Opposition (٢) sparteien im alten Islam ( abh. der Königl. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, 1901 ) p. 8

في أن أقدم الخوارج لم يكونوا أمراء بل الواقع أنهم بزوا بقية الجماعات الحرية في الكوفة والبصرة في نياتهم مخالفة البدوية ، وهو ينهب إلى أن شدة وروع القراء وملازماتهم الصلاة وقيامهم آله الليل وترديدكم لكتاب الله يتفق تماماً وما أمر عن الخوارج مما لا يختلف في وصفه عن هذا الأسلوب . أضف إلى هذا أننا نجد بين أقدم الخوارج ذكراً لجماعة كانوا يتشجون يرأس طويلة كانت زمان هذا الوقت سمه خاصة لمزهد والغثف ، وما ذكره الطبري ( ج ١ ص ٣٣٣٠ س ٦ ) عن أبي مخنف من اعتباره الخوارج شعبة شرعت عن القراء ، ثم يسمى قراء أصبحوا فيما بعد في عهد الخوارج للقرنين

(٣) لما انضم فيما بعد إلى صفوف الخوارج كثير من الملحنيين غير العرب أصبح حق الخلافة مباحاً للأجانب أيضاً حتى السيد

(٤) الطبري ، ج ٢ ص ٤٠ س ١٣ وما يليه

ولم تكن لهم غاية دنيوية يسعون من أجلها على تقيض الأحزاب السياسية الأخرى

تكلم الشهرستاني عن الإثني عشر ألفاً الأوائل الذين ثاروا ضد علي فوصفهم بقوله « إيهم أهل صيام وصلاة (١) ». وكان القرآن حكمهم في حياتهم واليمين على خواطرم، حتى إن تاريخ اعتقادهم الأول، وتاريخ المضطهدين والشهداء والمؤمنين ... كل ذلك غدا مأساة حقيقية واقعة كانوا هم أنفسهم أبطالها الذين قاموا بتمثيلها، كما أن خوفهم من الجحيم أثار فيهم حماسة صادقة وغيره على إحقاق العدل، كما امتحنوا اعتقادهم الشخصي في دقة وخبروا إيمان جيرانهم. وويل للذين كانوا يجيدونه ضعيف الإيمان، فهناك خطوة واحدة تقرب المخطئ من الإسلام، وعلى الرغم من أنه يمكن التجاوز عن الثرلة وغفرتها بالتوبة الصادقة إلا أنهم كانوا يسلكون أي مسلم ارتكب إحدى الكبائر ولومرة واحدة في زمرة الكفار الخلد في النار، أو كان ذلك على الأقل في نظر الخوارج المؤمنين

من هبتي

(١) الشهرستاني: شرحه ج ١ ص ٨٦ س ٣ من أسفل

نبيه صلى الله عليه وسلم وولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما والبراءة من عثمان وعلى لإحداثهما في الدين وتركهما حكم الكتاب ومن هذا يتضح لنا أن دعوة الخوارج كانت تلتخص في التمسك بما نادى به الإسلام من المساواة والإخاء التي لم يعد يعمل به بل تلاشى تماماً. أما من الناحية النظرية فترى أن جميع المسلمين التمسكين بدينهم قد اتفقت ورغبتهم على إعادته إلى نصابه، وعلى إيدانة الحكومة القائمة، ولم يكونوا دون الخوارج في هذه الناحية وفي مقتت تلك الدولة مقتاً شديداً تأصل في حنايا النفوس؛ أما الفارق الذي كان يميّز أفراد الحزب الأخير عن سواهم فهو صرامتهم الشديدة ودقتهم في تنفيذ مبادئهم ونشرها. وكان من آرائهم الجوهرية أنه يجب على الإمام أو زعيم المجتمع أن يحكم باسم الله وبمقتضى كتابه، وأن من سار على غير هذا الدرب فقد باع نصيبه في الحياة الأخرى، وأن النجاة الأبدية وقف على اختيار خليفة النبي. وكانوا يعدّون المسلمين الذين يأبون سب عليّ وعثمان كفاراً مارقين، كما كانوا يرون من الضروري على كل مؤمن صادق الإيمان أن يساهم في « الجهاد المقدس » ضد هؤلاء وأمثالهم، وأن يقتلهم ويقتل زوجاتهم وأطفالهم أتى تقفهم وقد ارتدت هذه المبادئ الفظة على العصاة الذين سرعان

ما وجدوا أنفسهم مهددين بخطر الاقراض، ومن ثم أخذت الآراء المسنة تنشر بينهم فأحلّ الأباضين « أتباع عبد الله بن أبيص » عيشهم بين المسلمين والاختلاط بهم في حدود التساهل المشترك بين الطرفين، ولم يكن التساهل في الواقع مناقضاً لما يريد الخوارج من إقامة مملكة الله على الأرض، ولكن حطّم منطقهم العنيد، كل دستور يوضع؛ فهم يقولون - كما لاحظ على - « لا إمارة ولكن لا بد من إمارة برة أو فاجرة (١) » ومع ذلك فقد كانوا يجارون بإيمان ثابت وعقيدة خالصة في سبيل صريّ شريف،

(١) الشهرستاني: للتل والتحل (طبعة Carleton)

## الفرصة السنوية العظيمة بعد الجرد

### في محلات

سليم وسمعان صيدناوى وشركام ليمتد

ابتداء من الاثنين ٢ فبراير سنة ١٩٤٢

تؤكد حضرات زبائتنا الكرام أن البضائع مترد لنا بطريقة متواصلة فترجو منهم أن يقتصروا في مشترياتهم على ما هم في حاجة إليه حالا وذلك كي نستطيع تلبية طلبات الجميع وإرضائهم.